جمهورية العراق ديوان الوقف الشيعي

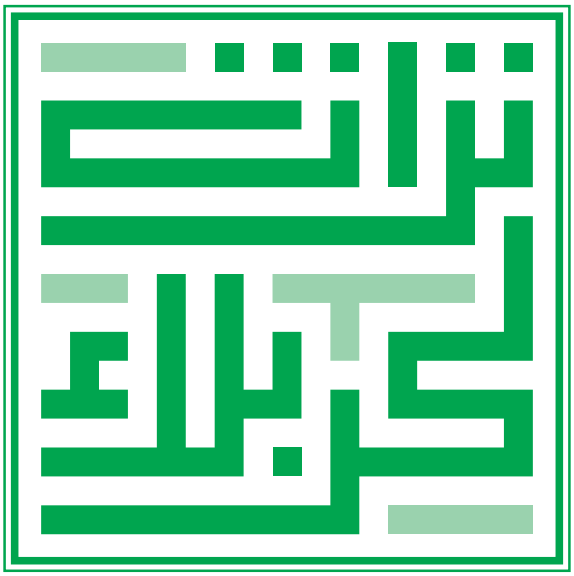

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالتراث الكربلائي

مُجَازَةٌ مِنْ وزَارَةِ التَّعْلِيْمِ الْعَالِيِّ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ
مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

تصدر عن:
العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
مركز تراث كربلاء
السنة الرابعة/ المجلّد الرابع/ العدد الأوّل
شهر جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ / آذار ٢٠١٧م

الغزو الوهّابيّ لمرقد الإمام الحُسين عليه السلام عام ١٨٠٢م في كتابات الرحّالة والمسؤولين الأجانب

The Wahabi Invasion of Imam Hussein's Holy Shrine in 1802 in the Writings of the Foreign Travelers and Officials.

أ.م.د.عماد جاسم حسن الموسوي

جامعة ذي قار/ كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة/ قسم التاريخ

By:- Assist. Prof. Imad Jasim Hassan Al- Musawi.

DhI Qaar University / College of Education for Human Science / Dept of History

dr.amadgulf@gmail.com

الملخّص

أعطى مرقدُ الإمام الحُسين عليه السلام لمدينة كربلاء أهميّةً خاصّة ليس في نظر الشيعة فحسب أو المسلمين عامّة بل على مستوى الإنسانيّة جمعاء، لما حمله الإمام الحُسين عليه السلام من مبادئ وقيم أرادت للإنسانيّة الحريّة ورفض الظلم والاستبداد فأصبح مناراً يستضاء منه وقبساً ينير دروب الأجيال مهما تقادم الزمن، فأصبحت كربلاء بفضل وجود مرقده فيها قبلةً لكلّ الأحرار في العالم، إنّ ذلك الأمر أغاظ المبغضين وناصبي العداء له ولأهل بيته ولاسيّما أتباع الحركة الوهّابيّة التي ظهرت منتصف القرن الثامن عشر إذ أنّهم أرادوا أن يمحوا قبره وتهديمه وسيّروا الحملة تلو الأخرى وفعلوا كلّ الأفعال المشينة كالقتل والسلب والتدمير والحرق، والحقيقة إنّ تلك الأعمال قد ذكرها الأعداء قبل الأصدقاء، وعلى هذا الأساس يتناول بحثنا واحدةً من تلك الغزوات التي حصلت عام ١٨٠٢م من خلال كتابات الرحّالة والمسؤولين الأجانب الذين زاروا العراق في فترات تاريخيّة مختلفة وأوضحوا بأدقّ التفاصيل الأفعال الشنيعة التي قام بها الوهّابيّون خلال تلك الغزوة، حيث بيّن بعضهم الأسباب والنتائج التي تمخّضت عنها.

Abstract.

The Wahabi Invasion of the Holy Shrine of Imam Hussein (pbuh) in 1802 in the Books of the Foreign Travelers and Officials.

The Holy Shrine of Imam Hussein (pbuh) has granted the city of Karbala' a particular importance not in the eyes of the Muslim Shi'ahs or other Muslims alone، but of the humanity in general. This due to the fact that Imam Hussein (pbuh) had high principles and values for liberty and for rejecting tyranny. However، in the course of time، Imam Hussein (pbuh) became the center of the freedom for all the Muslim generations that the malicious and Al- Nawasib the Hostile to the Mohammedan House were so motivated to demolish his shrine at Karbala' in the mid of the Eighteenth Century. They prepared many successive campaigns to achieve this goal. Beside that، they exercised the most awful and shameful deeds as looting، assassinations، destruction and burning. Hence، this article sheds lights on one of such invasions that aimed to

destroy the Holy Shrine of Imam Hussin (pbuh) in 1802 throughout the books of the external travelers and officials who visited Iraq in various historical pe-riods. They have mentioned،in details،the ugly enmity of the Wahabis in that invasion and its later results.

المقدّمة

تُعدّ كتابات الرحّالة الأجانب مادّة أساسيّة وثائقيّة للتعرّف الى الأحداث التي مرّت بها البلدان، في الوقت الذي لم تكن هنالك وثائق محليّة تبيّن تلك الأحداث، وبما أنّ العراق كان محطّةً توقّف فيها الكثير من الرحّالة وكتبوا عنه تفاصيل دقيقة بمختلف الجوانب، لذا كان موضوع بحثنا المعنون: (الغزو الوهّابي لمرقد الإمام الحُسين-عليه السلام- عام ١٨٠٢م كما وصفه الرحّالة والمسؤولون الأجانب). ويهدف البحث الى بيان وتوضيح كتابات الرحّالة والمسؤولين الأجانب لحقيقة تلك الحادثة التي وقعت عام ١٨٠٢م وكذلك التعرّف الى الأوصاف التي أطلقها أولئك الرحّالة والمسؤولون الأجانب على الحركة الوهّابيّة التي قامت بذلك العمل. قسم البحث على ثلاثة مباحث تناول الأوّلُ منها المبادئ والأفكار والمعتقدات التي يؤمن بها أتباع الحركة الوهّابيّة التي أعطت انطباعاً واضحاً أنّ أفكارهم تشجّع على الغزو والسلب والنهب والقتل، في حين تناول المبحثُ الثاني كتابات الرحّالة الأجانب للغزو الوهّابي لمرقد الإمام الحُسين عليه السلام وتوضيح الأوصاف التي قدّمها أولئك الرحّالة لذلك الهجوم وبيان كيفيّة هجومهم وأعمال القتل والنهب والسلب والتدمير الذي تعرّض له المرقدُ الشريف، والى جانب ذلك بيّن المبحثُ الثالثُ الغزو الوهّابي لمرقد الإمام الحُسين من خلال كتابات المسؤولين الأجانب الذين تناولوا أسباب تلك الحادثة، كما أنّهم تطرّقوا الى نتائجها وآثارها، فضلاً عن ذلك إدانتهم لذلك الغزو وكذلك بيان الأضرار التي تعرّض لها المرقد الشريف. وممّا يجدر ذكره أنّه مع أنّ العديد من الرحّالة

والمسؤولين الأجانب قد ذكروا أنّ تلك الحادثة حصلت عام ١٨٠١م، لكنّنا اعتمدنا عام ١٨٠٢م تاريخاً لحصول تلك الحادثة استناداً الى الوقائع التاريخيّة التي حدثت قبل وبعد تلك الحادثة، ومن خلال الربط بين الأحداث اتّضح لنا جليّاً أنّها كانت في عام ١٨٠٢م.

- المبحثُ الأوّل: لمحةٌ الى مبادئ الحركة الوهّابيّة

ممّا لاشكّ فيه أنّ العقيدة الوهّابيّة قامت على مبدأ القتل والتكفير والإرهاب، تلك المبادئ الأساسيّة التي اتّخذتها تلك الحركة في سبيل الانتشار والتوسّع، وهذا الأمر أشار اليه الرحّالة الأجانب الذين تناولوا تلك الحركة حيث قال الرحّالة السويسري بوركهارت[١]: «إنّ الديانة الوهّابيّة تفضي بالحرب المستمرّة ضدّ كلّ من لم يعتنق العقيدة الوهّابيّة، وبما أنّهم أخضعوا كلّ الجزيرة العربيّة تقريباً فإنّ غزواتهم أصبحت موجّهة بصفةٍ رئيسة الى جيرانهم الشماليّين على طول الفرات من البصرة الى سوريا، وهم يهاجمون العراق وما بين النهرين وسوريا من أجل النهب، وكانت الغزوات المفاجئة أفضل شيء لذلك الغرض، ومَنْ عارضهم أصبح عرضةً لهجماتهم، وكانوا يخرّبون المزارع والنخيل ويأخذون المواشي»[٢].

ويتّضح من ذلك النهج الواضح الذي قامت عليه تلك الحركة التي كانت تدّعي أنّها حركة إصلاحيّة، إنّما هي في الواقع قائمة على السلب والنهب والقتل وترويع الأطفال والنساء، وبذلك فإنّها حركة دمويّة عدوانيّة إرهابيّة.

وللتدليل على سياسة الرعب التي اتّبعها الوهّابيّون ذكر بوركهارت: «أنّ الوهّابيّين كانوا على العموم في حالة حرب مستمرّة فقد اعتاد سعود أن يقوم

سنويّاً بغزوتين أو ثلاث غزوات كبيرة، وكانت الجهات المجاورة للبصرة الغنيّة بالمواشي والتمر وضفتا شطّ العرب ونهر الفرات حتى منطقة عانة مسرحاً لهجماته السنويّة، وإنّ جنوده عبروا الفرات ونشروا الرعب فيما بين النهرين»[٣].

وممّا يؤكّد أكثر أنّ الوهّابيّين لا يلتزمون بتعاليم القرآن الكريم ما أورده الرحّالة بوركهارت عندما قال: «يقوم الوهّابيّون بهجماتهم في كلّ شهرٍ من شهور السنة حتى في شهر رمضان المبارك، وقد أظهر سعود ولعاً كبيراً بشهر ذي الحجّة ويدّعي أتباعه أنّه لم يهزم أبداً في أيّ غزو قام به خلال ذلك الشهر»[٤]. وهذا دليلٌ آخر على تجاوز تلك الحركة لمبادئ الإسلام التي أنزلها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عندما قال في الأشهر الحُرُم التي حرّم فيها القتال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٥]، لكن عقيدة الوهّابيّين لا تلتزم بتلك المبادئ لأنّها خارجة عن العقيدة الإسلاميّة.

وفي السياق ذاته، أكّد الرحّالة الفنلندي فالين[٦] ومن حيث لا يشعر ذلك الأسلوب الوهّابي في السلب والنهب، وعلى الرغم من أنّ فالين قد امتدح الحركة الوهّابيّة لكنّه لم يتردّد عن ذكر حقيقتهم عندما قال: «بحجّة الحرب المقدّسة ضدّ الكفار الذين لا يؤدّون الزكاة ولا يعملون بالتعاليم الأخرى من القرآن الكريم يوالي الحجازيون الإغارة -ويعدّون هذا من واجبهم- على جميع القبائل التي لا تذهب بمذهب الوهّابيّين ويضطهدونها وينهكونها حتّى يرغموها على محالفة شمر بتأديتها الزكاة لشيخهم وبموالاتها إيّاه، وفي هذا

الصيف –أي في وقت كان الرحّالة هناك– غزت جماعاتٌ لهم واحدتُها من مائة مقاتل –الشرارات[٧]– خمس غزوات وأخذ منهم ما يفوق ألفي جمل»[٨].

فضلاً عن ذلك، أشار بوركهارت الى أن الوهّابيّين اعتادوا خلال حروبهم وغزواتهم وبخاصة على سوريا والعراق إبادة كلّ الذكور، وبيّن أيضاً أنّ سعود قام عام ١٨١٠م بهجومٍ على ٣٥ قرية وتمّ نهبها وحرق بيوت السكّان وحقول الذرة وقتل رجالها[٩].

ولتأكيد ذلك النهج ذكر الرحّالة البريطانيّ وليم جيفورد بلجريف[١٠] قائلاً: «لقد ذكرت التاريخ المتقدّم للفرقة الوهّابيّة في المجلّد الأوّل الذي يبدو كافياً للقارئ لإظهار العدوانيّة والغزو عند مُحمّد بن عبد الوهّاب وأتباعه وقائد آل سعود، وإنّ هذين الرجلين ومن بعدهم أشدّ حماسة، لديهم رؤية ليس لإيجاد فرقة ولكن امبراطوريّة لإخضاع جيرانهم»[١١]، وفوق ذلك أكّد المقيم البريطانيّ في الخليج العربي لويس بيلي[١٢] كذلك سياسة الغزو قائلاً:«لقد وجد مُحمّد بن عبدالوهاب المفعم حماسةً في زعيم الرياض المجاور المسمّى (سعود) أداةً للغزو والغنائم»[١٣].

وجاء في أحد التقارير البريطانيّة الذي كتبه أحد المسؤولين البريطانيّين قائلاً: «وعند تتبّع تاريخ الوهّابيّة نرى ما هو إلّا سجلّ لوقائع مشابهة لتلك التي تحدث يوميّاً في الصحراء، أنّها قبيلة ذات حظّ وصلت الى السلطة فأخذت تغزو لتحصل على الغنائم وتبسط نفوذها على الآخرين بالقوّة»[١٤].

فضلاً عن ذلك، أشارت التقارير البريطانيّة الى الخطر الوهّابيّ عندما نشرت مقالاً صحفيّاً في صحيفة بنجال هور كارو في ٣٠ كانون الأوّل ١٨٦٥

أشارت فيه الى مخاطر تلك الحركة لاستخدامها أساليب تعسّفية مع سكان القبائل ولجوئها الى القوّة والرعب في فرض نفوذها[١٥].

ويستدلّ ممّا سبق أنّ الأفكار التي يؤمن بها الوهّابيّون كلّها تدعو للاعتداء وسفك الدماء والقتل والسلب والنهب، لذا فإنّ غزوهم لمدينة كربلاء والهجوم على مرقد الإمام الحُسين عليه السلام لا يخرج عن هذا الإطار المعبّر عن الحقد والكراهية التي يكنّها أصحاب هذه الحركة لمذهب أهل البيت(عليهم السلام) وأتباعهم.

- المبحثُ الثاني: وصف الغزو الوهّابيّ لمدينة كربلاء

ممّا لاشكّ فيه أنّ العراق بجميع مدنه كان محطّ أنظار العديد من الرحّالة الأجانب الذين توافدوا الى الشرق لعدّة دوافع، إذ زار أولئك الرحّالة أغلب المدن العراقيّة وتجوّلوا فيها وكتبوا عنها، فضلاً عن ذلك كان للمسؤولين الأجانب نصيب آخر من تلك الكتابات بحكم المناصب والمسؤوليّات التي تولّوها، ومن ثَمَّ فإنّ تلك الكتابات أصبحت المصادر الأصليّة للتعرّف الى تاريخ العراق الحديث، لكون أنّ أولئك الرحّالة والمسؤولين قد عاصر بعضهم الأحداث التي كتبوا عنها، ومن ثمّ فإنّ كتاباتهم تميل في أغلبها الى المصداقيّة على الرغم من الأهداف التي جاءوا من أجلها.

واستناداً لذلك، تُعدّ مدينة كربلاء من المدن العراقيّة المهمّة التي اكتسبت تاريخاً مشرّفاً بوجود مرقد الإمام الحُسين وأخيه أبي الفضل العبّاس عليهما السلام وأهل بيته وأصحابه، لذا فإنّ العديد من الرحّالة قصدوا تلك المدينة للاطّلاع على المرقد الشريف وفوق هذا كان لحادثة الغزو الوهّابي التي تعرّضت لها

مدينة كربلاء ومرقد الإمام الحُسين عليه السلام عام ١٨٠٢م أثر كبير في نفوس أغلب الرحّالة الذين كتبوا عن تاريخ العراق أو الجزيرة العربيّة أو الحركة الوهّابيّة، وعلى هذا الأساس قدّم لنا أولئك الرحّالة أوصافاً متعدّدة عن ذلك الغزو وما أحدثه في المدينة والمرقد الشريف.

الواقع أنّ أوّل رحّالة وصل الى مدينة كربلاء وكتب عن ذلك الهجوم الوحشيّ الذي تعرّضت له هو الرحّالة الهندي أبو طالب خان[١٦] الذي وصلها بعد حادثة الغزو الوهّابي التي حصلت عام ١٨٠٢م بعدّة أشهر حيث قال: «حصل قيام الوهّابيّين لكربلاء قبل سبعة أشهر من بلوغي إيّاها، وكان ذلك يوم الثامن عشر من ذي الحجّة ١٢١٧هـ الموافق لنيسان ١٨٠٢م بينما كان معظم أتقياء السكّان من كربلاء في زيارة مشهد النجف -يقصد مرقد الإمام علي عليه السلام- حيث خرج خمسةٌ وعشرون ألف وهّابيّ على خيلٍ وجمال عربيّة بغتةً من الصحراء ودخلوا المدينة وساعدوهم على ذلك أشخاصٌ من الغاوين» وأضاف قائلاً: «وكان الوهّابيّون يصرخون للتأليب والتخريب قائلين: اقتلوا الشيعة واقطعوا رقاب الكفرة، فذبحوا السكّان ونهبوا ما في منازلهم وحاولوا أن يقلعوا صفائح الذهب من المشهد وكانت مثبّتة جدّاً فلم يستطيعوا ذلك، ومع ذلك فلم يتحرّجوا من إخراب المشاهد والعبث بالقبور الأخرى، ثمّ انصرفوا من تلقاء أنفسهم عند أفول الشمس»[١٧].

ويتّضح من ذلك، أنّ تاريخ وصول أبي طالب خان الى كربلاء كان قريباً من حصول تلك الحادثة، ومن ثمّ فإنّ ما نقله عنها يكون صحيحاً لأنّه شاهد آثار تلك الهجمة الشرسة التي طالت المرقد الشريف، فضلاً عن ذلك فإنّه

تحدّث عن عمليّات السلب التي تعرّض لها المرقد وأيضاً سكّان المدينة حينما قال: «إنّ الوهّابيّين كانوا قد سلبوا منهنّ -يقصد نساء أقاربه- ما يملكن، وقد أعنتهنّ جميع ما أستطيعه إذ ذاك من العون الماليّ»، والحقيقة أنّ أبا طالب خان اتّهم حاكم كربلاء بضلوعه في تلك الحادثة قائلاً: «إنّ حاكم كربلاء عمر أغا -وكان ذا اعتقادات باطلة جدّاً- قام بمواطأة الوهّابيّين والميل الى فسادهم، بدلالة أنّه عند أوّل روعٍ هرب الى قريةٍ مجاورة لكربلاء من غير أن يقاوم البتّة» وبغضّ النظر عن صحّة ذلك الادّعاء من عدمه لكن يتّضح أنّ حاكم كربلاء لم يدافع عنها خلال ذلك الهجوم، ممّا يدلّ على النهج العثمانيّ تجاه المدن التي كان يقطنها الشيعة واتّباع سياسة اللامبالاة في الدفاع عنها، ولتأكيد الخلل أو تقصير حاكم كربلاء أو إهماله بواجبه فإنّ أبا طالب خان أضاف: «إنّ حاكم كربلاء دُعي الى محكمةٍ وحوكم، وأصدر سليمان باشا[١٨] حكماً بإعدامه فأُعدم»، فضلاً عن ذلك فقد أشار أبو طالب خان الى عدد القتلى جرّاء ذلك الهجوم مبيّناً: «وقد قتل الوهّابيّون في الوقت الذي لبثوه في المدينة خمسة آلاف إنسان وجرحوا عشرة آلاف آخرين وقد أخذوا الذهب والفضّة والأشياء الأخرى الثمينة التي وجدوها، وهذا الحادث لا يزال على حداثته فلا يتكلّم الناس على غيره ولا يتحدّثون بما سواه من الحوادث، وحكاية تلك القسوة والوحشيّة الوهّابيّة أقفت شعر رأسي إقفافاً»[١٩].

وللتدليل على عمليّات النهب والسلب أكّد الرحّالة والمستشرق الألماني يوليوس اوتينج[٢٠] أثناء رحلته في الجزيرة العربيّة وعندما وصل الى قرية كاف[٢١] ذكر قائلاً: «نصبت عدّة خيام خارج القرية واحدةٌ منها كان رواقها

عبارة عن بساطٍ إيرانيّ كبير، ولاشكّ أنّه كان فيما مضى إحدى التحف التي ربّما تنتمي الى كربلاء جاء مع الحملة الوهّابيّة عام ١٨٠١م، وعلى الرغم من حالته الرثّة إلّا أنّ ألوانه لا تزال زاهية»[٢٢].

وبالقدر الكبير الذي حظيت به مدينة كربلاء من الأهمّية أدّى ذلك الى أن أطلق عليها بعض الرحّالة مدينة الحُسين نتيجةً لوجود مرقده الشريف فيها، وهذا ما ذكره الرحّالة الفرنسي دوبريه[٢٣] في وصفه لمدينة كربلاء ومرقد الإمام الحُسين عليه السلام بعد تعرّضه للغزو الوهّابي قائلاً: «لكن هذه الكنوز المكدّسة خلال سنين كثيرة متتالية تحوّلت في لحظة من الزمن الى لقمة سائغة للوهّابيّين، فقد غزا هؤلاء اللّصوص مدينة الإمام الحُسين في ٢٠ نيسان ١٨٠١م، وبعد أن أجروا فيها الدم والنار وأشبعوا هيجانهم بقتلهم السكّان من الجنسين دون تمييز حملوا كلّ ما وصلت اليه أيديهم من آثار جشعهم»[٢٤].

وهنا يُلاحظ أنّ الوهّابيّين كانوا معروفين بطريقة تعاملهم التي لا تؤمن سوى بالقتل والتخريب والدمار، الأمر الذي أشار اليه الرحّالة دوبريه لاسيّما أنّه كان دقيقاً في وصفهم بأنّهم يستهدفون الجميع من دون تمييز بين الصغير والكبير الرجل أو المرأة، كما أنّه كان موفّقاً وصائباً في وصفهم باللّصوص الذين لا يمتلكون مبادئ إنسانيّة كبقيّة المذاهب والعقائد الأخرى التي تحترم الأطراف الأخرى. وممّا تجدر الإشارة اليه أنّ دوبريه أخطأ في تحديد تاريخ تلك الحادثة التي وقعت في عام ١٨٠٢م عندما حدّد وقوعها في عام ١٨٠١م، ذلك التاريخ الذي أخطأ فيه العديد من الرحّالة، لكن ما يثبت أنّ الحادثة كانت في عام ١٨٠٢م هو وصول الرحّالة أبي طالب خان بعد

عدّة أشهر من وقوعها، فضلاً عن ذلك أثبت الباحث مقدام في بحثٍ له أنّ الحادثة قد وقعت في عام ١٨٠٢م[٢٥].

وفي السياق نفسه فقد وصف القنصل الفرنسيّ في بغداد لوي جاك روسو[٢٦] الوهّابيّين بالقساة، لاسيّما عند غزوهم لمدينة كربلاء حيث قال: «أيّ قومٍ قساة هؤلاء الوهّابيّون الذين لا أثر للرحمة في نفوسهم، إنّهم عطاشى الى سفك الدماء والاستحواذ على الغنائم فلا يستثنون أحداً من القتل، بل يذبحون بلا رحمة كلّ الذين يقعون لسوء حظّهم بأيديهم، وقد علمت أنّهم عندما دخلوا كربلاء ونهبوها سنة ١٨٠١م كانوا يدخلون البيوت من أجل أن يفرغوا جام غضبهم على الناس ويشبعوا جشعهم من الغنائم»[٢٧].

فضلاً عن ذلك، فقد تحدّث لوي عن أعمال النهب التي قاموا بها في ذلك الغزو بقوله: «إنّهم قاموا بنهبٍ مهول لكربلاء عام ١٨٠١م المعروفة باسم الإمام الحُسين، ذلك المكان المقدّس الذي يحظى باحترام القزلباش الذين ما زالوا الى اليوم –وقتذاك– ليكون ذلك الحادث المؤلم وما لحقه الوهّابيّون من الانتهاك للمكان المقدّس»[٢٨].

الواقع أنّ تلك المأساة أقرّ بها الأعداء قبل الأصدقاء وهذا ما ذكره المؤلّف السعودي عثمان بن مُحمّد بقوله: «غزا عبدالعزيز بن سعود العراق وأناخ في كربلاء وأذاقهم كأس البلاء، فقتل أكثرهم ونهب البلدة، حتى يُقال إنّه غنم ابن سعود مدّة ملكه بعد خزائن المدينة المنوّرة أكثر من غنائم كربلاء من الجواهر والحليّ والنقد، ثمّ قفل الى نجد متبجّحاً بما فعله من سفك دماء، لا إله إلّا الله وإن كانوا روافض»[٢٩].

وفي الشأن نفسه عن تلك المأساة والإرهاب الذي بثّه الوهّابيّون في ذلك الغزو، ذكر الرحّالة جوهان بوركهارت قائلاً: «قام الوهّابيّون بمذبحةٍ في منطقة الإمام الحُسين عام ١٨٠١م فزرعوا الرعب في قلوب كلّ المسلمين، إذ صبّ الوهّابيّون جام غضبهم على ضريح حفيد الرسول في هذه البلدة» كما أنّه تحدّث عن عمليّات القتل والنهب بالقول: «ذبح الوهّابيّون خمسة آلاف رجل وتعرّض ضريح الإمام الحُسين عليه السلام للهدم والتدمير» كما أنّ بوركهارت أوضح طريقة دخولهم الى مدينة كربلاء: «دخل الوهّابيّون هذه القرية بعد أن وضعوا جذوع أشجار النخيل على حيطان الأسوار وتسلّقوها ولم تستطع القبائل إبعاد الوهّابيّين»[٣٠]. وعلى الرغم من صحّة المعلومات التي ذكرها بوركهارت لكنّه أخطأ في مسألة أنّ القبائل لم تستطع صدّ الهجوم الوهّابيّ، وهذا عكس الواقع لأنّ يوم الهجوم وافق يوم الغدير الذي ذهب فيه أغلب الرجال من مدينة كربلاء لزيارة مرقد الإمام علي عليه السلام، وهذا يؤكّد أنّ المدينة كانت خالية من الرجال، ومن ثمّ أنّ المتواجدين في المدينة لم يستطيعوا صدّ الهجوم الوهّابيّ الذي حصل فجأة.

إنّ حادثة الغزو الوهّابي لمدينة كربلاء لم تنل اهتمام الرحّالة الأجانب فحسب بل إنّ المسؤولين الأجانب تناولوا تلك الحادثة ووصفوها بشتّى الأوصاف، ومن أولئك المسؤولين المقيم البريطاني في بغداد هارفور جونز بريدجز[٣١] الذي كتب عنها قائلاً: «وفي عام ١٨٠١م حدثت تلك الأعمال المؤسفة في كربلاء التي نشرت جوّاً من الكآبة حول العالم الإسلاميّ ومنحت أتباع تلك الطائفة درجةً عاليةً من الزهو والشهرة»[٣٢]. وبما أنّ

بريدجز كان مسؤولاً حكوميّاً فقد تحدّث عن أثر تلك الحادثة على العلاقات بين الدولة العثمانيّة وبلاد فارس قائلاً: «ولقد أعطى الاستيلاء المشؤوم على كربلاء سليمان باشا سببين للشعور بالخطر الشديد، الأوّل منهما الكيفيّة التي ستتلقّى الحكومة العثمانيّة الأمر على ضوئها، والثاني منهما المنظار الذي سينظر من خلاله الى الأمر نفسه ملك بلاد فارس الذي سيُطالب بدون شكّ بتعويضات كبيرة عن بعض رعاياه الذين قُتلوا أو أُسروا وعمّا نُهب من القرابين الثمينة التي قدّمها للأضرحة المقدّسة عددٌ من الملوك الفرس الذين سبقوه وعن الخسائر الماليّة التي تعرّض لها التجّار الفرس، لقد كان الباب العالي يتمنّى لو أنّه استطاع أن يتخلّص من تبعات هذه الحوادث المحزنة والثقيلة عن طريق عزل الباشا، ولكنّ الباشا يعلم جيّداً أنّه على الرغم من أنّ الرغبة للقيام بعملٍ كهذا لم تكن غائبة إلّا أنّ القوّة اللّازمة لتنفيذه كانت أكثر من أن تكون مجرّد مشكلة، إلّا في حالة وعد بلاد فارس بالمساعدة، وبناءً على ذلك لم يضع الباشا الوقت حيث استخدم كلّ الوسائل المتوافرة لديه لتسكين غضب كلا البلاطين -العثماني والفارسيّ- ولهذا الغرض تمّ إرسال الهدايا الى الباب العالي وبلاد فارس وبدأت الاستعدادات لإرساله حملة أخرى ضدّ الدرعيّة مكوّنة من قوّات العرب»[٣٣].

ويروي لويس دو كورانسي تفاصيل دقيقة عن تلك الحادثة المؤلمة بقوله: «انتظر عبدالعزيز حلول موعد العيد[٣٤] لمحاولة الاستيلاء على البلدة، وقام بتنفيذ خطّته في ٢٠ نيسان ١٨٠١م وكان ذلك اليوم يوم الحجّ[٣٥] الى مقام علي، فكانت البلدة شبه مقفرة وفجأة ظهرت ستّة آلاف ناقة يمتطيها اثنا

عشر ألفاً من الوهّابيّين الذين قضوا بسهولة على المقاومة التي واجهتهم وقد أثارتهم المقاومة فعمدوا الى القتل بدون تمييز حتى أنّهم بقروا بطون النساء الحوامل لكي لا يُبقوا على أيّ ذكرٍ في البلدة، وقد قيل إنّ عدد الضحايا في ذلك اليوم بلغ ثلاثة آلاف وكانت الأسلاب هامّة لدرجةٍ كبيرة»[٣٦]، وأعطى دوكورانسي تفاصيل عن عمليّات السلب التي قام بها الوهّابيّون لمرقد الإمام الحُسين عليه السلام قائلاً: «وكان قبر الإمام مغطّى بسجّاد مطعّمة بالمجوهرات وبعضها نادرة الحجم، فأصبح هذا الكنز وغيره من الكنوز الواردة من فارس غنيمةً للوهّابيّين، وهدموا المسجد والمآذن كما جرّدوا القبّة من صفائح النحاس المذهّب الذي اعتقدوه من الذهب الخالص، وحملت مائتا ناقة بالكنوز وسيقت الى الدرعيّة»[٣٧].

فضلاً عن ذلك، فقد نقل دوكورانسي المذكّرة التي رفعها أحد ضبّاط المدفعيّة الفرنسيّة في حلب الى وزير الخارجيّة في حكومة نابليون مشيراً فيها الى تلك الحادثة بالقول: «قام عبدالعزيز بعدّ العدّة للاقتصاص من الرفض الذي قابله به سليمان باشا، فاختار يوم ٢٠ نيسان ١٨٠٢م لتنفيذ غزو مقام الإمام الحُسين، وهو مكان مشهور بتدفّق الحجّاج الدائم اليه من الهند وإيران وكان اليوم يوم عيد الإمام علي حيث تجمّع عند مقامه غالبيّة سكّان الإمام الحُسين بغية التعبّد ولم يبقَ هناك سوى حامية ضعيفة للدفاع عن الموقع، فتقدّم سعود وفقاً لتعليمات والده حتى أسوار المدينة التي كانت شبه خالية يرافقه جيشٌ مكوّن من (٧٠٠٠) آلاف مردوفة أي (١٤٠٠٠) ألف رجل فاحتلّوا مقام الإمام الحُسين عليه السلام خلال لحظات»[٣٨]، وهنا لابُدّ من التعليق

على هذه المذكّرة بالآتي:

١- أعطت تلك المذكّرة إشارةً واضحةً على مدى الاهتمام الدوليّ بشأن التطوّرات التي حصلت في المنطقة، بل وتركيزها على الحادثة التي عبّرت عنها القوى الكبرى في ذلك الوقت بما أسمته بالغزو، وهذا يعطي صورة واضحة الى أنّ الوهّابيّين هم المعتدون باعترافٍ دوليّ، وقد هاجموا المرقد الشريف بدافع الغزو والانتقام لا بدافع دينيّ كما يدّعون.

٢- بالرغم ممّا نقله ذلك التقرير أو المذكّرة من حقائق بخصوص تلك الحادثة إلّا أنّ هناك بعض الإشكالات بخصوص بعض المعلومات التي من أهمّها أنّ اليوم الذي حصل فيه ذلك الحادث يوافق يوم عيد الإمام علي، والصحيح أنّه عيد الغدير وهو يوم المبايعة للإمام علي عليه السلام أو تنصيبه خليفةً للمسلمين بعد النبيّ، والنقطة الأخرى التي أشارت اليها المذكّرة هو أنّ أهل كربلاء يتّجهون الى الإمام عليّ لغرض الحجّ والصحيح أنّهم يذهبون للزيارة وليس للحجّ، وهذا خلطٌ وقع فيه ليس الرحّالة والمسؤولون الأجانب الذين كتبوا في تلك الموضوعات فقط بل إنّ الذين ترجموا تلك الرحلات أيضاً توهّموا في طرح ذلك المصطلح، ومن ثمّ فإنّهم نقلوا معلومات غير صحيحة ربّما لم يكن يقصدها الرحّالة أو المسؤولون الأجانب عند تدوين تلك الأحداث.

الواقع أنّ تلك المذكّرة أشارت أيضاً الى تفاصيل أخرى بخصوص الهجوم الوهّابيّ ونتائجه على كربلاء، حيث ذكرت «أنّ الحامية قاومت بشدّة لكن كان عليها الخضوع للقوّة الوهّابيّة ممّا أتاح للوهّابيّين الدخول الى المقام المقدّس»[٣٩]. وهنا ربّما يقصد الضابط الفرنسيّ أنّ الحامية قاومت حتّى مقتل

رجالها وليس خضوعهم واستسلامهم.

أمّا عن عمليّات السلب والنهب والقتل فقد أشارت تلك المذكّرة بالقول: «لم يُعفَ عن الرجال ولا عن النساء والأطفال ولم ينجُ منهم إلّا من استطاع تفادي النقمة بالهرب، وبعد أن توقّفت المجزرة فكّر البعض في الاستيلاء على الكنوز الفخمة التي ساقها الى المكان تديّن أعمى -نذورات- وظنّ البعض الآخر أنّ قبّة المسجد مغطّاة بصفائح من نحاس مطليّة بالذهب فتركوا ما تبقّى منها» وأضافت المذكّرة: «لم يدم حصار المدينة والاستيلاء عليها سوى خمس ساعات تّم خلالها اغتيال من أرسله سوء الطالع بطريقتهم، كما تمّ تجريد مقام الإمام الحُسين من كنوزه فحملوا هذه الكنوز الثمينة على إبلهم واختفوا»[٤٠].

ويبدو أنّ وقع تلك الحادثة ومأساتها أدّت الى أن يتناقلها أغلب الرحّالة والمسؤولين الأجانب الذين زاروا المنطقة بعد سنوات طويلة من تاريخ حدوثها، ومنهم على سبيل المثال الرحّالة سوانسن كوبر[٤١] الذي قام برحلته الى الجزيرة العربية عام ١٨٩٣م وأشار الى حادثة الغزو الوهّابيّ لمرقد الإمام الحُسين: «عانت المدينةُ من نكسة مُرّة عندما سُلبت ونُهبت عام ١٨٠١م وذُبح الكثير من سكّانها على يدي سعود بن سعود الزعيم الوهّابي»[٤٢] وهنا لابُدّ من القول: إنّ الرحّالة قد أخطأ في اسم الزعيم الوهّابيّ إذ أنّه عبد العزيز بن مُحمّد بن سعود وليس (سعود بن سعود).

والى جانب كوبر قدّم ماكس اوبنهايم إشارةً بسيطة لتلك الحادثة قائلاً: «وقد عاث البدو -يقصد الوهّابيّين- فساداً في المدن التي وقعت في أيديهم

فسقطت كربلاء والنجف ضحيّةً لهم»[٤٣] كما أنّه أضاف قائلاً: «اجتاح الوهّابيّون بقيادة سعود المدينة الشيعيّة المقدّسة في نيسان ١٨٠١م ونهبوا الكنوز الموجودة في ضريح الإمام الحُسين وقتلوا من صادفوه من السكان. أدّت هذه الأعمال الى حدوث موجة من الاستياء والغضب عمّت سائر البلدان الإسلاميّة»[٤٤].

الواقع أنّ تلك الإشارة رغم أنّها كانت بسيطة ولم يذكر اوبنهايم تفاصيل كثيرة عن تلك الحادثة لكنّه أطلق وصفاً بالغاً ومؤثّراً عن تصرّفات تلك الحركة وأساليبها من خلال وصفه لهم بأنّهم أفسدوا ومن ثمّ فإنّ كلمة فساد تحمل مدلولات عدّة وتؤكّد الجرائم التي ارتكبها الوهّابيّون ضدّ أبناء تلك المدن، تلك الحوادث التي تعاطف معها حتّى غير المسلمين وتأثّروا بها وتحدّثوا عنها ووصفوا الوهّابيّين بمواصفات تنطبق عليهم جرّاء تلك التصرّفات بل إنّها أظهرت صورتهم الحقيقيّة ومبادئهم التي يؤمنون بها والتي هي بعيدة عن الدين الإسلاميّ.

-المبحثُ الثالث: الغزو الوهّابي لمرقد الإمام الحُسين عليه السلام في كتابات المسؤولين الأجانب

بسبب الأثر الكبير لتلك الحادثة المؤلمة فإنّها لم تكن محلّ اهتمام الرحّالة فحسب بل تناولتها أقلامُ المسؤولين الأجانب الذين عملوا في المنطقة سواءً في الخليج العربي أو العراق خلال تلك المدّة ولاسيّما في بداية القرن العشرين، ويأتي في مقدّمتهم البريطانيّ لوريمر[٤٥] الذي عمل في حكومة الهند البريطانيّة وأجرى مسحاً شاملاً عن منطقة الخليج العربيّ وكتب عنها

معلومات تفصيليّة بجوانبها المختلفة، ومن ثمّ فإنّه لم يستطع أن يتجاوز اعتداءات الوهّابيّين على مرقد الإمام الحُسين عليه السلام عام ١٨٠١م عندما قال: «وفي سنة ١٨٠١م فوجئت مدينة كربلاء البعيدة في العراق التركيّ وفيها محجّ الشيعة الحُسين بهجوم ساحق من جانب الوهّابيّين الذين أوقعوا مجزرةً رهيبة بالسكّان العزل بعد أن تمّ لهم الاستيلاء على المدينة، وقد أثارت تلك الحادثة سخطاً عظيماً في إيران على باشا بغداد لافتقاره الى اليقظة والحذر»(٤٦).

فضلاً عن ذلك، فقد بيّن لوريمر تفاصيل تلك الحادثة قائلاً: «في صباح يوم ١٨ ذي الحجّة الموافق ٢٠ نيسان ١٨٠١م ظهرت حشود الوهّابيّين فجأة في كربلاء، وكان الكثير من أهلها قد هجروها في ذلك الوقت للحجّ الى النجف وهي فرصةٌ لابُدّ أنّ العدوّ بنى خطّته عليها، وقد قدّرت قوّة الغزاة حسبما تقول عدّة مصادر بما لا يقلّ عن ستّة آلاف جمل، وقد جُعِل على كلّ جملٍ رجلان، وبعد أن توقّف الوهّابيّون قليلاً وأقاموا معسكراً صغيراً في الحدائق الواقعة غربيّ المدينة، أرسلوا فرقتين اتّخذتا مواقعهما في الشمال والجنوب وبدأوا بمهاجمة بوّابة المدينة، ولم يمضِ وقتٌ طويل حتّى استطاعت مدفعيّتهم إحداث ثغرات في سور المدينة واستطاع النقيب السيد مرتضى والحاكم المدنيّ في كربلاء الهرب عن طريق بوّابة أخرى وساد المدينة ذعرٌ شامل»(٤٧).

وعلى الرغم من أنّ لوريمر ذكر في وصفه لعمليّة هجوم الوهّابيّين للمدينة وكيفيّة اقتحامهم لها بالمدفعيّة لكنّه أشار مرّةً أخرى بقوله: إنّ الروايات تقول إنّ الوهّابيّين كانت لديهم مدفعيّة لكنّ الواقع عكس ذلك إذ قال إنّهم

لا توجد لديهم مدفعيّة[٤٨]. والحقيقة أنّ رأي لوريمر يبدو صائباً إذ أنّ من المرجّح أنّ الوهّابيّين خلال تلك المرحلة لم يمتلكوا أسلحةً متطوّرة كالمدافع بل إنّ سلاحهم الأساس كان السيوف والرماح في تلك المعارك.

والى جانب لوريمر يُعدّ ألكسندر اداموف[٤٩] القنصل الروسيّ في البصرة من المسؤولين الأجانب الذين تقلّدوا مناصب مهمّة في العراق، وتحدّث عن الحركة الوهّابيّة وما فعلته أثناء غزوها لمدينة كربلاء، بل إنّه بيّن أسباب ذلك الغزو قائلاً: «لم يكن الأمير الوهّابيّ عبدالعزيز قد فكّر بعد بالاستيلاء على البصرة بل كان عنده مشروع آخر يأمل أن يوفّر له ثروات طائلة تتمثّل بالكنوز المحفوظة في مرقد الإمام الحُسين عليه السلام في كربلاء»[٥٠].

فضلاً عن ذلك، أضاف اداموف عن أسباب تلك الحملة بالقول: «رفعت حملة العثمانيّين الفاشلة على الأحساء لدرجةٍ تفوق المعتاد من اعتداء عبدالعزيز بنفسه، في حين عجّل رفض سليمان الكبير ترضيته عن مقتل عدّة وهّابيّين سقطوا في صِدامٍ مع عرب العراق بقراره بمهاجمة كربلاء، وهكذا باغت سعود بن عبدالعزيز في ٢٠ نيسان ١٨٠٦م مدينة كربلاء وكان أغلب سكّانها قد ذهبوا الى النجف لزيارة ضريح الإمام علي عليه السلام فتُركت دون حماية»[٥١].وهنا نعتقد بأنّ ادموف أخطأ في السنة التي حصل فيها الغزو وهي عام ١٨٠١م وليس عام ١٨٠٦ والدليل على ذلك أنّ أغلب الرحّالة أشاروا الى أنّ الغزو حصل في عام ١٨٠١م، وأيضاً ما يؤكّد ذلك التاريخ اتّفاق الجميع على وقوع الحادثة يوم ٢٠ نيسان، الأمر الذي يجعلنا نقول: إنّ ادموف ربّما توهّم في تثبيت تاريخ الغزو لاسيّما أنّه أعطى تفاصيل مشابهة

للتفاصيل التي ذكرها الرحّالة والمسؤولون الأجانب.

بالإضافة الى ذلك، تطرّق اداموف الى القوّة الوهّابيّة التي هاجمت مدينة كربلاء وعن أعمال السلب والنهب التي طالت المدينة ومرقد الإمام الحُسين بالقول: «لقد كان الفصيل السعوديّ يتألّف من سبعة آلاف مردوف[٥٢] -جمل سريع العَدْو- يحمل كلٌّ منها راكبَيْن مسلّحَيْن، وقد عاث أتباع عبد الوهاب المتعصّبين هؤلاء في المدينة طيلة يومين كاملين وأحدثوا أضراراً في المنائر وفي بقيّة المرقد المذهّبة التي اعتقدوا أنّ كسوتها النحاسيّة هي من الذهب الخالص، لكنّ جميع كنوز هذا المرقد التي تجمّعت من هدايا وتبرّعات الزوّار المسلمين عشرات السنين وقعت بالمقابل في أيدي الوهّابيّين الذين احتاجوا الى مائتي بعير لنقل هذه الغنيمة التي لا تقدّر بثمن والتي تتألّف من أحجار كريمة وأغطية وسجّاد وأوانٍ من الذهب والفضة وأسلحة مختلفة عليها نقوش ثمينة ولوازم وكمّية كبيرة من النقود الذهبيّة والفضّية الأجنبيّة»[٥٣]. ويبدو أنّ اداموف أخطأ أيضاً في المدّة التي قضاها الوهّابيّون عند غزوهم لكربلاء، إذ أنّهم لم يبقوا سوى يومٍ واحد، وهذا ما أشارت اليه أغلب المصادر التاريخيّة على عكس ما ذكره ادموف بأنّهم ظلّوا فيها يومَيْن.

وذكر اداموف معلومةً نسبها الى زويمر قائلاً: «أشار زويمر في كتابه -islam of cradle the Arabia- في الصفحة ١٩٥ أنّ العملة الأجنبيّة التي استولى عليها الوهّابيّون بلغت (٦٠٠٠) دوبلون أسباني و(٣٥٠٠٠٠) قطعة من نقد فينيسا الفضّي و(٤٠٠٠٠٠) دوكات هولندي و(٢٥٠٠٠٠) دولار أسباني»[٥٤].

وإلى جانب اداموف أعطى لونكريك[٥٥] أحد موظّفي القنصليّة البريطانيّة في بغداد أوصافاً عن ذلك الغزو عندما قال: «إنّ تلك الفاجعة الكبرى دلّت على منتهى القسوة والهمجيّة والطمع واستعملت باسم الدين» كما أنّه أعطى تفاصيل عدّة عن تلك الحادثة بالقول: «حدث في أوائل ١٨٠١م أن تفشّى الطاعون في بغداد، فاضطرّ الباشا وحاشيته للالتجاء الى الخالص حيث ابتعد عن منطقة المرض، وما استتبّ حاله هناك حتّى فوجئ بنبأ من المنتفك علم به أنّ الجيوش الوهّابيّة تحرّكت للغزو، فأرسل الكهية الى الهنديّة إلّا أنّه ما كاد يغادر بغداد حتّى وافت أخبار هجوم الوهّابيّين على كربلاء ونهبهم إيّاها»[٥٦].

وفي السياق ذاته أسهب لونكريك في ذكر تفاصيل تلك الحادثة حيث قال: «انتشر خبر اقتراب الوهّابيّين من كربلاء في عشيّة اليوم الثاني من نيسان عندما كان معظم سكّان البلدة في النجف يقومون بالزيارة، فسارع مَنْ بقي في المدينة لإغلاق الأبواب غير أنّ الوهّابيّين وقد قُدّروا بستّمائة هجّان وأربعمائة فارس نزلوا فنصبوا خيامهم وقسموا قوّتهم الى ثلاثة أقسام، ومن ظلّ أحد الخانات هاجموا أقرب بابٍ من أبواب البلد فتمكّنوا من فتحه عسفاً ودخلوا فدُهش السكّان وأصبحوا يفرّون على غير هُدى بل كيفما شاء خوفهم، أمّا الوهّابيّون فقد شقّوا طريقهم الى الأضرحة المقدّسة وأخذوا يخرّبونها»[٥٧].ويبدو أنّ لونكريك قد أخطأ في ذكر عدد القوّة المهاجمة، إذ أنّها كانت أكثر بكثير من العدد الذي ذكره وهذا ما أشار اليه الرحّالة والمسؤولون الآخرون الذين سبقوه في الكتابة عن تلك الحادثة.

فضلاً عن ذلك، فقد أشار لونكريك الى عمليّات التخريب التي قام

بها الوهّابيّون قائلاً:«فاقتُلِعت القضب المعدنيّة والسياج ثمّ المرايا الجسيمة ونُهبت النفائس والحاجات الثمينة من هدايا الباشوات والأمراء وملوك الفرس، كذلك سُلبت زخارف الجدران وقُلع ذهب السقوف وأُخذت الشمعدانات والسجّاد الفاخر والمعلّقات الثمينة والأبواب المرصّعة وسُحبت تلك الموادّ ونُقلت الى الخارج»[٥٨]. يُضاف الى ذلك فقد تطرّق لونكريك الى عمليّات القتل التي رافقت تلك الحادثة بالقول: «وقتل زيادةً على هذه الأفاعيل قرابة خمسين شخصاً بالقرب من الضريح وخمسمائة أيضاً خارج الضريح في الصحن، أمّا البلدة نفسها فقد عاث الغزاة المتوحّشون فيها فساداً وتخريباً وقتلوا من دون رحمة جميع مَنْ صادفوه كما سرقوا كلّ دار ولم يرحموا الشيخ ولا الطفل ولم يحترموا النساء ولا الرجال فلم يسلم الكلّ من وحشيّتهم ولا من أسرهم، ولقد قدّر بعضهم عددَ القتلى بألف نسمة وقدّر الآخرون بخمسة أضعاف ذلك»[٥٩].

بالإضافة الى ذلك فقد أشار سكرتير الحكومة البريطانيّة في بومباي فرنسيس واردن[٦٠] في تقاريره ورسائله الى حكومته الى تلك الحركة، أمّا ما يخصّ عمليّة الغزو الوهّابيّ لكربلاء عام ١٨٠١م فقد ذكر عنها قائلاً: «استمدّت الإجراءات التي كان الزعيم الوهّابيّ يتّبعها على نحوٍ فاعل لتوسيع سلطانه وممتلكاته ونشر تعاليمه، دعماً كبيراً من نجاح الحملة ضدّ كربلاء التي هاجمها في الحادي والعشرين من نيسان ونهبها برمّتها كما نهب قبر الحُسين وذبح في ذلك اليوم بوحشيّة لافتة خمسة آلاف من سكّانها»[٦١]. كما أشار المستشرق البريطانيّ جورج فاسيليف[٦٢] الى ذلك الغزو قائلاً: «رأينا

مؤخّراً المصير الرهيب الذي كان من نصيب الإمام الحُسين مثالاً مرعباً على قساوة وتعصّب الوهّابيّين، فمن المعروف أنّه تجمّعت في هذه المدينة ثروات لا تُعدّ ولا تُحصى»[٦٣] وأضاف قائلاً: «وها هي الثروات الهائلة التي تجمّعت في الضريح تُثير شهيّة الوهّابيّين وجشعهم من أمدٍ طويل، إذ كانوا دوماً يحلمون بنهب هذه المدينة وكانوا واثقين من نجاحهم لدرجة أنّ دائنيهم حدّدوا موعد تسديد الديون في ذلك اليوم السعيد الذي تحقّقت فيه أحلامهم»[٦٤].

وفي السياق نفسه، أشار المستشرق البريطانيّ فيلبي[٦٥]: «أنّ غزوة الإمام عبدالعزيز بن سعود بمعيّة الوهّابيّين على كربلاء هزّت العالم كلّه، فقد كانت نقطة انطلاق للانقلاب على الوهّابيّين، كما أدّت الى عواقب وخيمة على دولة الدرعيّة، ومن تلك العواقب الوخيمة هي مقتل عبد العزيز بن مُحمّد بن سعود عام ١٨٠٣م»[٦٦].

يتّضح من ذلك أنّ فيلبي أراد أن يُعطي صورةً بأنّ مصير المعتدي أو الظالم الخراب والدمار الذي سيلحقه مهما طال به الزمن، وهذا ما حصل مع عبد العزيز آل سعود الذي غزا كربلاء وأحدث فيها القتل والترويع والدمار لا لشيء سوى لأطماع شخصيّة وأهواء ورغبات حبّ السلطة والنفوذ والتفرّد وعدم احترام الآخر، فكان لسياساته وتصرّفاته وسلوكه أثرٌ واضح في المصير الذي آل اليه.

فضلاً عن ذلك، فقد ذكر المستشرق والصحفيّ والإعلاميّ البريطانيّ جون كيلي[٦٧] في كتاباته عن ذلك الغزو قائلاً: «تضاعفت غارات الوهّابيّين في شتاء ١٨٠٠-١٨٠١ وانتهت بمجزرةٍ رهيبة وأعمالٍ للسلب والنهب

وكان ذلك في ربيع ١٨٠١م، ففي صباح يوم ٢٠ نيسان ظهرت فجأةً قوّةٌ من الوهّابيّين تقدّر بـ١٢ ألف رجل أمام المدينة وقد صادف أنْ كان معظم السكّان خارج المدينة في النجف لتأدية الحجّ، وقد انقضّ الوهّابيّون على المدينة من المدخل الغربيّ واندفعوا الى ضريح الإمام الحُسين عليه السلام وأضاف يتحدّث عن التدمير الذي حصل بالقول: «حيث عاثوا فيها فساداً ونهباً وتدميراً، كما دُمّرت نصف القبّة الذهبيّة لضريح الحُسين-رضي الله عنه- ثمّ انتقل الغزاة الى الأحياء الأخرى من المدينة وعملوا فيها سلباً ونهباً وقتلاً وكانوا يقتلون كلّ من يصادفونه ويدمّرون كلّ شيء أمامهم، وفي الساعة التاسعة من ذلك اليوم انسحب الوهّابيّون حاملين معهم الكثير من الغنائم التي استولوا عليها الى جانب الأسرى تاركين المدينة وراءهم حطاماً وأنقاضاً تضمّ تحتها ما لا يقلّ عن خمسة آلاف قتيل»[٦٨].

وعن أثر ذلك الغزو وما أحدثه من ردّة فعل أشار جون كيلي قائلاً: «وعلى الفور اجتاحت العالَمَ الشيعيّ موجةٌ من الذعر بعد وصول أنباء تلك المجزرة، فقد طالب شاه فارس بإنزال العقاب الشديد بالوهّابيّين واستعادة الغنائم والأسلحة التي استولوا عليها، أمّا سليمان باشا فقد أُصيب بالذهول لدرجة أنّه عجز عن اتّخاذ أيّ إجراء وعرض الموضوع على هارفورد جونز المقيم البريطانيّ في بغداد ليتوسّط لدى الوهّابيّين للإفراج عن الأسرى والتفاهم على طريقة دفع الفدية»[٦٩].

الخاتمة

اتّضح من خلال البحث أنّ مدينة كربلاء حظيت بزيارة عددٍ كبير من الرحّالة الأجانب الذين توافدوا على العراق، وإنّ أولئك الرحّالة كانوا يكتبون عن جميع المظاهر والحوادث التي يشاهدونها، كما أنّ شهرة مدينة كربلاء بوجود مرقد الإمام الحُسين عليه السلام دفعهم بل وأعطاهم دافعاً وحافزاً لزيارة تلك المدينة ولاسيّما بعد أن تعرّضت الى الهجوم الوحشيّ الوهّابيّ عام ١٨٠٢م، إذ أعطى الرحّالة والمسؤولون الأجانب -مع كونهم غير مسلمين- أوصافاً دقيقة عن تلك الحادثة ووصفوها بشتّى الأوصاف، بل أشاروا الى المبادئ التي يؤمن بها أصحاب تلك الحركة القائمة على السلب والنهب والقتل والإغارة والغزو، وجاءت تلك التوصيفات متشابهة نوعاً ما بين الرحّالة والمسؤولين الأجانب الذين تطرّقوا لتلك الحادثة، كما أنّ تلك الكتابات ساهمت بنقل تلك الحادثة المأساويّة الى الحضارات والأمم والشعوب الأخرى ولاسيّما الدول الغربيّة التي اتّضح لها مدى الحقد والقسوة والسلوك الوحشيّ لأولئك التابعين لتلك الحركة.

الهوامش

(١)جوهان لودفيتج بوركهارت: ولد في سويسرا عام ١٧٨٤م في مدينة لوزان، سافر الى ألمانيا وبريطانيا، وقام بزيارة الى القارّة الأفريقيّة ثمّ عاد الى سوريا وقام بدراسة اللّغة العربيّة والتعرّف الى الحياة الشرقيّة والدين الإسلاميّ، زار القاهرة وبعدها انتقل الى أثيوبيا ومنها عبر البحر الأحمر الى مدينة جدّة عام ١٨١٤م، كما زار مكّة وأطلق على نفسه الحاج ابراهيم بن عبدالله الألباني، حيث كتب عن الجوانب الاقتصاديّة لهاتين المدينتين كما أنّه كتب عن طموحات مُحمّد علي والي مصر تجاه الجزيرة العربيّة، وقام بوصف مسجد مكّة وتحدّث عن طقوس الحجّ خلال العام الذي أمضاه فيها، كذلك وصف قبر النبيّ مُحمّدﷺ والحرم المكّي وأعطى معلومات مفصّلة عن الحركة الوهّابيّة. توفّي عام ١٨١٧م بعد إصابته بمرض الطاعون: مرسال عبدالله مرسال، موقف المستشرقين من دعوة الإمام مُحمّد بن عبدالوهاب.. عرض ونقد، رسالة ماجستير مقدّمة الى جامعة أمّ القرى، كليّة الدعوة وأصول الدين، السعوديّة، ص٥٢.

(٢) نقلاً عن: جوهان لودفيتج بوركهارت، موادّ للتاريخ الوهّابيّ، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين، د.ن، ١٩٨٥، ص٦٨.

(٣) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٧٠.

(٤) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٧٢.

(٥)سورة التوبة، الآية ٣٦.

(٦)جورج اوغانيت فالين: ولد عام ١٨١١م في إحدى جزر ارخبيل اولاند الواقعة بين فنلندا والسويد، انتقل الى العاصمة الفنلنديّة هلنسكي وقام بدراسة اللّغات الشرقيّة

مركّزا على اللّغة العربيّة وحضارتها، فكانت أطروحته الأولى مقارنات في العربيّة بين الفصحى والعاميّة، ثمّ انتقل الى جامعة لينغراد في روسيا واستمرّ في دراسة اللّغة العربيّة أيضاً، حصل على منحة من بلاده للذهاب الى البلاد العربيّة، فوصل القاهرة عام ١٨٤٣ ثمّ غادرها الى مكّة حيث أنّه طاف مع الحجّاج وأقام الصلاة ولقّب نفسه بالحاج عبد الولي ثمّ عاد الى القاهرة وغادرها الى فلسطين عام ١٨٤٦ وبعدها انتقل الى بيروت ودمشق، عاد الى بلاده عام ١٨٥٠ وناقش أطروحته عن ابن الفارض، وبعد عام أصبح أستاذاً لكرسيّ الدراسات الشرقيّة في جامعة هلنسكي لكنّه لم يعمّر طويلاً حيث توفّي في عام ١٨٥٢، كتب خلال رحلته وتجواله في البلاد العربيّة عن طبيعتها وسكّانها ولغتها وحضارتها وطقوسها. عماد جاسم حسن، أهداف الرحّالة الأجانب في رحلاتهم الى المناطق الشرقيّة، بحثٌ مخطوط غير منشور، ص٦.

(٧)وهي إحدى القبائل العربيّة التي تسكن الأجزاء الشماليّة من الجزيرة العربيّة في منطقة الجوف والتي تنتسب الى شرار بن سلمان بن هلال بن مكلب وتنتهي الى عبس بن بغيض: للتعرّف أكثر ينظر جوار ماني، كارلو كلاوديو، نجد الشمالي (رحلة من القدس الى عنيزة في القصيم عام ١٨٦٤م/ ١٢٨٠هـ)، ترجمة أحمد ايبش، ط١، هيأة (أبو ظبي) للثقافة والتراث، أبو ظبي ٢٠٠٩، كذلك جاكلين بيربين، اكتشاف جزيرة العرب. خمسة قرون من المغامرة والعلم، ترجمة قدري قلعجي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت. وأيضاً آن بلنت، رحلة الى بلاد نجد، ترجمة مُحمّد أنعم غالب، ط٢، الرياض، ١٩٧٨.

(٨)نقلاً عن: جورج اوغانيت فالين، صور من شمالي جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة سليم شلبي، هلنسكي، ١٩٩١، ط٢، ص٧٦.

(٩)جوهان بوركهارت، ملاحظات عن البدو والوهّابيّين، ترجمة غاندي المهتا، مؤسّسة الانتشار العربي، بيروت، ٠٥٢٠، ص١٩١.

(١٠)وليم جيفورد بلجريف: ولد عام ١٨٢٦م في ويستمنستر ببريطانيا لأب عالم مشهور جدّاً، قام بدورٍ كبير في تأسيس دائرة المعارف البريطانيّة، انضمّ الى جماعة الآباء اليسوعيّين المسيحيّة، وبقي في شبه القارّة الهنديّة وتعلّم اللّغة العربيّة، ثمّ جاء الى الجزيرة العربيّة وتجوّل فيها، إذ التقى بعبدالله بن فيصل وكتب معلوماتٍ تفصيليّة عن تلك الرحلة، وبعد عودته الى بلاده عُيّن في منصب قنصل بريطانيا في مقاطعة شرق أناضوليا ثمّ نقل عمله الى جزر الهند الغربيّة وبعدها انتقل الى الفلبّين ثمّ الى مونتفديو حيث توفّي هناك عام ١٨٨٨م. أسعد عيد الفارس، الرحّالة الغربيّون في شبه الجزيرة العربيّة أهدافهم وغاياتهم، ج١، بحوث ندوة الرحلات الى شبه الجزيرة العربيّة المنعقدة في الرياض للمدّة ٢٤ -٢٧ رجب ١٤٢١هـ/ ٢١-٢٤ اكتوبر ٢٠٠٠م، ص٦٠٣-٦٠٤.

(١١)نقلاً عن: ناصر بن ابراهيم التويم، الشيخ مُحمّد بن عبدالوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقية.. دراسة نقديّة، جامعة الإمام سعود، المملكة العربيّة السعوديّة، ص٧٠.

(١٢)لويس بيلي: ولد في مدينة اكستر جنوبي إنكلترا في عام ١٨٢٥م ودخل الكليّة الملكيّة بجامعة كامبرج، وكان مولعاً بتعلّم اللّغات الشرقيّة والانضمام الى المحافل السياسيّة لبريطانيا، كما أنّه عمل رحّالةً ثمّ أصبح المقيم السياسيّ لبلاده في الخليج العربيّ خلال المدّة ١٨٦٢-١٨٧٣، كما جاء الى الرياض وقابل الأمير السعوديّ فيصل بن تركي وطالبه بعدم الإضرار بالمصالح البريطانيّة، كانت لديه

عدّة كتابات عن منطقة الخليج العربيّ منها تاريخ وقصّة الوهّابيّة وابن سعود مع الحكومة البريطانيّة، توفّي عام ١٨٩٢. أسعد عيد الفارس، المصدر السابق، ص١٤٣، كذلك ينظر عبدالرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، القاهرة، دار العلم للملايين، د.ت، ص٢٢٤-٢٢٥. وللتعرف أكثر يُنظر عبدالله بن ابراهيم التركي، موقف لويس بيلي من النفوذ السعوديّ في عمان ١٨٦٢-١٨٧٣، مجلّة الدارة، العدد ١، السنة ٣٥، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

(١٣)نقلاً عن: لويس بيلي، رحلة الى الرياض، ترجمة عبدالرحمن عبدالله، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩١، ص٦٩.

(١٤)سجلّات حكومة بومباي، رسالة من إدوارد ويلر الى لبلي بشأن مخاطر الحركة الوهّابيّة في ٤ سبتمبر ١٨٦٥، منشورة على مكتبة قطر الرقميّة على الموقع www.qdl.qa Accessed-in:15 12/2016/

(1)Bombay Government Selection from the Records of Bombay Government، No.xxiv،:» Historical Sketch of the Wahabai «، 1856، p.428- 460.

(١٥)هو أبو طالب بن مُحمّد خان وأصله تركيّ لكنّ والده هاجر الى الهند أوّلاً ثمّ الى البنغال، ثمّ توفّي في مقصود آباد عام ١٧٦٨، ولد أبو طالب في لكنو عام ١٧٥١ وبعضهم يقول ١٧٥٣، حيث هاجر مع عائلته الى بانتا ثمّ الى مقصود آباد وكان عمره آنذاك ١٤ عاماً، وعمل في وظيفة استيفاء الضرائب مدّةً من الزمن ثمّ هاجر هو وعائلته الى كلكتا عام ١٧٨٧، وكان أبو طالب بليغاً في اللّغة الفارسيّة وآدابها، حيث ألّف كتابا في المختارات الشعريّة الفارسية، سافر أبو طالب من كلكتا الى

أوربا فزار إنكلترا وفرنسا والدولة العثمانيّة ثمّ رجع الى الهند عام ١٨٠٣، وخلال تواجده في الدولة العثمانيّة ادّعى أنّه من سلالة النبيّ مُحمّدﷺ وأنّه علويّ، ودلّت الأخبار في رحلته أنّه كان شيعيّاً، وقد تنقّل في مدن الدولة العثمانيّة وجاء الى العراق عام ١٨٠٣ وزار المراقد المقدّسة في النجف وكربلاء والكاظمية وأعطى معلومات كثيرة عن المدن التي مرّ فيها خلال رحلته. أبو طالب خان، رحلة أبي طالب خان الى العراق وأوربة، ترجمة مصطفى جواد، الوراق، بيروت، ٢٠٠٧، ص١٦-١٨.

(١٦)نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٢٦٩.

(١٧)وهو أحد الحكّام المماليك الذين حكموا العراق منذ عام ١٧٥٠ وقد امتدّ حكمه في المدّة ١٧٨٠-١٨٠٢ والذي عُدَّ عهدُه بالعصر الذهبيّ لحكم المماليك في العراق، وفي أواخر سنيّ حكمه أخذ الوهّابيّون يغيرون على المدن العراقيّة المتاخمة لهم، للتفصيل أكثر يُنظر: علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠ -١٨٣٠، بغداد، دار الحرّيّة، ١٩٧٥.

(١٨)نقلاً عن: أبي طالب خان، المصدر السابق، ص٢٧٠.

(١٩)ولد في ١١تمّوز ١٨٣٩ في مدينة شتوتغارت، وهو مستشرق ألماني حاصل على شهادة الدكتوراه في ترجمة وتفسير بعض السور من القرآن الكريم، وبعد انتهاء الحرب الفرنسيّة البروسيّة عام ١٨٧١ أصبح أمين مكتبةٍ في جامعة ستراسبورغ، وفي عام ١٨٨٠ عُيّن أستاذاً فخريّاً في تلك الجامعة، قام بعدّة رحلات استكشافيّة في منطقة البحر المتوسّط حيث زار صقلية وتونس وسوريا ومصر، وفي عام ١٨٨٣ قام برحلة بحثيّة كبيرة مع تشارلز هوبر داخل الصحراء العربيّة على الحصان والجمل لدراسة وتسجيل الآثار والنقوش ما قبل الإسلام وتنقّل بين

حائل، الجوف، تيماء، الحجاز، لديه العديد من المؤلّفات، توفّي في ٢ كانون الثاني ١٩١٢. عماد جاسم حسن، المصدر السابق، ص٥.

(٢٠)وهي إحدى القرى الأثريّة القديمة التي تقع في منطقة الجوف شمال المملكة العربيّة السعوديّة وتتألّف من بيوت طينيّة متلاصقة تنتشر فيها مزارع النخيل وتوجد فيها مجموعةٌ من العيون الكبريتيّة وتعدّ حالياً من المناطق السياحيّة. على الموقع Accessed-i.www.sauditourism.sa 15/12/2016

(٢١)نقلاً عن: يوليوس اوتيج، رحلة داخل الجزيرة العربيّة، ترجمة سعيد فايز السعيد، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٩٩٩، ص٢٦.

(٢٢)لا توجد معلومات عن تاريخ ولادته، وهو فرنسيّ الجنسيّة، كان مولعاً باللّغات الشرقيّة وهي مصدر قوّته في رحلاته، إذ كان يستطيع التحدّث مع السكّان المحليّين، ويبدو أنّ نظرته في رحلته كانت تجاريّة لأنّه أعطى معلوماتٍ وتفاصيل كثيرة عن الأوزان والمكاييل والمواد والسلع المتوافرة في كلّ بلد والطرق المهمّة وقيمة النقود، كذلك تطرّق الى الضرائب والمكوس، وما يثبت اهتمامه بالمعلومات التجاريّة قوله: بأنّ هدف رحلته خدمة الجغرافية والتجارة، بدأ رحلته من القسطنطينيّة عام ١٨٠٧ ثمّ الى ديار بكر وماردين ونصيبين والموصل وبقيّة المدن العراقيّة وتوجّه بعد ذلك الى بلاد فارس. عماد جاسم حسن، المصدر السابق، ص٦.

(٢٣)نقلاً عن: دوبريه، رحلة دوبريه الى العراق ١٨٠٧-١٨٠٩، ترجمة بطرس حدّاد، الوراق للنشر، بيروت، ٢٠١٣، ص١٦٨-١٦٩.

(٢٤)للتفصيل أكثر يُنظر: مقدام عبد الحسن، الغزو الوهّابيّ لمدينة كربلاء المقدّسة في

مطلع القرن التاسع عشر، مجلّة تراث كربلاء، العدد١، المجلّد٢، السنة٢، ٢٠١٥.

(٢٥)يعود أصلُه الى أسرة روسو الفرنسيّة، عمل والده في التجارة واستقرّ مدّة من الزمن في بندر عبّاس، والحقيقة لم يُعرف تاريخ ولادته لكنّه شغل عدّة وظائف ومنها أنّه كان مساعداً للحسابات في شركة الهند الشرقيّة الفرنسيّة خلال المدّة ١٧٦٢-١٧٧٠، وفي عام ١٧٧٢ أصبح قنصلاً لبلاده في بغداد وبعد ذلك عاد الى بلاده ليعود بعدها الى العراق ليصبح قنصلاً لبلاده في البصرة، لكن احتلال فرنسا لمصر عام ١٧٩٨ أدّى الى طرده ونهب أمواله، ولولا أن خلّصه سليمان باشا والي بغداد لكان قد تعرّض الى القتل، ومع ذلك عاد عام ١٨٠٣ ممثّلاً دبلوماسيّاً ووكيلاً تجاريّاً في بغداد من قبل حكومته، له العديد من الكتابات منها رحلته من حلب الى الموصل عن طريق الجزيرة عام ١٨٠٧، رحلته الى فارس عن طريق بغداد، كذلك كتاباته عن الوهّابيّين بعنوان: ((معلومات عن الوهّابيّين)) خلال رحلته التي استمرّت من ٢٢ تشرين الأوّل حتى ٣٠ كانون الأوّل ١٨٠٨، واستمرّ في تنقّلاته ووظائفه الحكوميّة حتّى وفاته عام ١٨٣١. لوي جاك روسو، رحلة الى الجزيرة العربيّة سنة ١٨٠٨، ترجمة بطرس حدّاد، الدار العربيّة للموسوعات، ٢٠١٠، بيروت، ص١٤-١٦.

(٢٦)نقلاً عن: المصدر نفسه، ص١٠٩.

(٢٧)نقلاً عن: المصدر نفسه.

(٢٨)نقلاً عن: عثمان بن مُحمّد بن أحمد بن سند البصريّ، مطالع السعود بأخبار الوالي داود، د.ت، ص٢٨٩.

(٢٩)نقلاً عن: بوركهارت، ملاحظات عن البدو والوهّابيّين، ترجمة غاندي المهتا، ٢٠٠٥، ص١٨٤-١٨٥.

(٣٠)ولد عام ١٧٦٤ في بلدة برستين في مقاطعة بويز شرق ويلز، انخرط في بداية حياته في خدمة شركة الهند الشرقيّة الإنكليزيّة، وقد تمكّن خلال تلك المدّة من تعلّم عددٍ من اللّغات الشرقيّة وإتقانها والتحدّث فيها، وفي عام ١٧٨٤ أرسل الى البصرة للعمل في وكالة شركة الهند الشرقيّة في تلك المدينة، وأمضى في العمل فيها عشر سنوات ثمّ انتقل بعدها مع مقرّ الوكالة البريطانيّة الى الكويت عام ١٧٩٥، ثمّ غادرها الى بلاده بعد ذلك بسبب سوء حالته الصحّية، وبعد غزو نابليون لمصر عام ١٧٩٨، تمّ تعيين جونز مقيماً لبلاده في بغداد، وخلال تواجده في بغداد كتب عن الأحداث التي حصلت في العراق والجزيرة العربيّة ولاسيّما الحركة الوهّابيّة، توفّي عام ١٨٤٧. أحلام بنت علي، الدولة السعوديّة الأولى من خلال كتابات الرحّالة والمستشرقين البريطانيّين.. عرض وتحليل ونقد ١١٥٧-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٤-١٨١٨م، أطروحة دكتوراه، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السعوديّة، ص١٦٤-١٦٦، كذلك يُنظر: عبد الرحمن بدوي، المصدر السابق، ص٣١٧.

(٣١)نقلاً عن: هارفورد جونز بريدجز، موجز للتاريخ الوهّابيّ، ترجمة عويضة بن متيريك الجهني، منشورات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠٠٥، ص٩٧-٩٨.

(٣٢)نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٩٨.

(٣٣)يقصد الرحّالة بذلك العيد عيد الغدير الذي يُوافق يوم ١٨ ذي الحجّة ويحتفل به أبناء الشيعة بمناسبة تنصيب الإمام علي عليه السلام خليفةً لرسول الله a.

(٣٤)يقصد الرحّالة زيارة مرقد الإمام عليg، وممّا يجدر ذكره أنّ بعض الرحّالة لا يفرّقون بين مصطلحي الحجّ والزيارة وأيضاً بعض المترجمين غالباً ما يطلقون تسمية الحجّ على جميع الزيارات التي يقوم بها الناس لزيارة مراقد الأئمّة والأولياء والصالحين.

(٣٥)نقلاً عن: لويس دوكورانسي، الوهّابيّون تاريخ ما أهمله التاريخ، ترجمة مجموعة من الباحثين، رياض الريس للنشر، بيروت، ص٧٧.

(٣٦)نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٧٨.

(٣٧)نقلاً عن: المصدر نفسه ص٢٦.

(٣٨)نقلاً عن: المصدر نفسه، ٢٧.

(٣٩)نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٢٨.

(٤٠)لا توجد معلومات عن تاريخ ولادته أو وفاته سوى أنّه قام برحلته عام ١٨٩٣ من مصر واتّجه الى سوريا وبعدها دخل الأراضي العراقيّة، حيث وصل الى بغداد ومروره بعد ذلك بالحلّة وكربلاء والنجف والبصرة، تضمّن كتابه وصفاً للأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة والتاريخيّة للمناطق التي مرّ بها في ذلك دون أن يغفل عن ذكر القرى والقبائل والمجتمعات العربيّة البسيطة والمواقع التاريخيّة والآثار المنتشرة في المناطق التي مرّ بها وكذلك النباتات والحيوانات، ووصف أزياء السكّان وعاداتهم وأعطى إحصائيّات عن أعدادهم والجاليات المتواجدة معهم. ا.ج.سوانسن كوبر، رحلة في البلاد العربيّة الخاضعة للأتراك من البحر المتوسّط الى بومبي عن طريق مصر والشام والعراق والخليج العربيّ حتّى ١٨٩٣،

ترجمة صادق عبد الركابي، الأهليّة للنشر، عمان، ٢٠٠٤، ص ٧-١٠.

(٤١)نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٢٧١.

(٤٢)نقلاً عن: ماكس فرايهير فون اوبنهايم، البدو، ج٢، رحلة الى ديار شمّر وبلاد الشام، الورّاق للنشر، ٢٠٠٩، ص١٧٢.

(٤٣)نقلاً عن: المصدر نفسه، ج٣، شمال ووسط الجزيرة العربيّة والعراق الجنوبيّ، الورّاق، لندن، ٢٠٠٧.

(٤٤)وهو أحد موظّفي حكومة الهند البريطانيّة، أرسلته الحكومة البريطانيّة عام ١٩٠٤ إلى منطقة الخليج العربيّ للتحرّي عن معلومات مفصّلة عن المنطقة، فزار أغلب مدن المنطقة وكتب عنها، كما أنّه كتب عن المدن العراقيّة وجاءت كتاباته بشكلٍ مسهب في الأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وبذلك فإنّه يُعدّ أبرز مصدرٍ وثائقيّ عن تاريخ الخليج العربيّ، اعتمد فيه كاتبه على سجلّات حكومة الهند وعلى المعلومات السريّة التي وضعتها بكاملها تحت تصرّفه، وقد طُبع قسمٌ منه عام ١٩٠٨، أمّا القسم الآخر فطُبع في عام ١٩١٥ وبقي وثيقةً سرّيةً لا يجوز الاطّلاع عليها حتّى عام ١٩٦٠، حيث سمحت الحكومة البريطانيّة بنشره، ويتكوّن من قسمين: القسم التاريخيّ والقسم الجغرافيّ، وقسم الكتاب على أربعة عشر جزءً سبعةٌ منها للقسم التاريخيّ طُبعت في الدوحة عام ١٩٦٧ ومثلها للقسم الجغرافيّ طُبعت في بيروت عام ١٩٧٠، أحمد حاشوش، سوق الشيوخ مركز إمارة المنتفك ١٧٦١-١٨٦٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة الآداب/ جامعة ذي قار، ٢٠١٠، ص٩.

(٤٥)نقلاً عن: ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخيّ، ج١، ترجمة مكتب أمير دولة قطر، د.ت، ص٢٨٧.

(٤٦)نقلاً عن: المصدر نفسه، ج٣، ص١٥٨٣.

(٤٧)نقلاً عن: المصدر نفسه.

(٤٨)وهو دبلوماسيّ روسيّ عمل في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قنصلاً لبلاده في البصرة، ألّف كتاباً ضخماً عن البصرة بعنوان: (ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها) وللكتاب قيمةٌ علميّةٌ كبيرة تكمن في كون أنّ مؤلّفه قد عاصر بعض الأحداث وأيضاً سجّل ملاحظاته بشكلٍ مباشر ولم يعتمد على النقل في تسجيل معلوماته، كما أنّه كان مطّلعاً على عددٍ كبير من المصادر والمراجع الروسيّة والفرنسيّة والألمانيّة والإنكليزيّة التي تتعلّق بالمواضيع المختلفة التي عالجها في كتابه، ولم تقتصر معلوماتُه على جانبٍ معيّن بل بكلّ الجوانب السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والإداريّة والجغرافيّة وأوضاع السكّان، لذا فإنّ كتابه كان أشبه بالموسوعة التي تحدّثت عن ولاية البصرة والمناطق والمدن القريبة منها. عماد جاسم حسن، سوق الشيوخ في كتابات الرحّالة والمسؤولين الأجانب ١٧٦١-١٩٢٠، بحثٌ مقبول للنشر في مجلّة الآثار في كلّية الآداب، جامعة بغداد، ص٤٣.

(٤٩)نقلاً عن: ألكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، دار الورّاق للنشر، بيروت ٢٠٠٩، ص٤٣٨.

(٥٠)نقلاً عن: المصدر نفسه.

(٥١)مردوف: كلمةٌ تُطلق على الراكب الثاني الذي يردف الراكب الأصليّ خلفه على الحصان أو الجمل. المصدر نفسه، ص١٥٧.

(٥٢)نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٤٣٨.

(٥٣)نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٤٣٨.

(٥٤)وهو بريطانيّ الأصل عمل في العراق بمناصب عدّة في القنصليّة البريطانيّة في بغداد أيّام الدولة العثمانيّة، حيث أنّه قام بتأليف كتابٍ شامل لمسيرة العراق والأحداث التي مرّ بها على مدار أربعة قرون، إذ أعطى تفصيلات مهمّة عن المدن والأحداث والمعارك والشخصيّات والعشائر والصراعات التي كانت قائمة خلال تلك المدّة، فضلاً عن الصراع بين الدولتين العثمانيّة والصفويّة على العراق، وكان ذلك العمل الضخم قد قام به بعد قيام النظام الملكيّ في العراق عام ١٩٢١. عماد جاسم حسن، سوق الشيوخ في كتابات الرحّالة والمسؤولين الأجانب ١٧٦١-١٩٢٠، بحثٌ مقبول للنشر في مجلّة الآثار في كليّة الآداب، جامعة بغداد، ص٤٥.

(٥٥)نقلاً عن: ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخيّاط، المكتبة الحيدريّة، ١٤٢٥هـ، ص٢٦٠.

(٥٦)نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٢٦١.

(٥٧)نقلاً عن: المصدر نفسه.

(٥٨)نقلاً عن: المصدر نفسه.

(٥٩)بريطانيّ الأصل درس في جامعة كامبرج وتدرّج في المناصب في لندن حتّى ذاع صيته فاستدعته حكومتُهُ ليكون عضواً وسكرتيراً مهمّاً في مجلس حكومة بومباي،

ولديه عدّة كتابات ورسائل تناول فيها الحركة الوهّابيّة وحقيقتها، ولاسيّما في كتابه (لمحة تاريخيّة عن الوهّابيّة) وهو عبارة عن التقارير السريّة التي كان يكتبها ويرسلها الى حكومة لندن حول التطوّرات التي وصلت عليها تلك الحركة: عبدالرحمن بدوي، المصدر السابق، ٣٢٥-٣٢٦.

(1) Bombay Government Selection from the Records of Bombay Government، No.xxiv،:« Historical Sketch of the Wahabee Tribe of Arabs »، p416

(٦٠)مستشرقٌ بريطانيّ من أصلٍ فرنسيّ ولد في فلورنسا ونال تعليمه فيها ولا يعرف مكان وفاته، له الكثير من المؤلّفات في مجال التاريخ القديم والحديث، من أشهرها (بيزنطة والعرب) وكذلك(الوهّابيّة الإسلاميّة والعربيّة): عبدالرحمن بدوي، المصدر السابق، ٣٠٥-٣٠٧.

(61) Joarage faseeleiv ،Wahhabism Arabia ،past and present، p.d.theisis Oxford University ،1953 ،p.458.

(62) Ibid ،p459.

(٦٣)وُلِد في عام ١٨٨٥ في سيلان (سيرلانكا حاليّاً) وعرف بـ"جاك" أو الشيخ عبدالله فيما بعد، انتقل الى بريطانيا وأتمّ دراسته في كليّة ويستمنستر ثمّ في كلّية الثالوث الأقدس في جامعة كامبرج، ودرس اللّغات الشرقيّة، بعدها التحق بالخدمة المدنيّة في شبه القارّة الهنديّة ووصل الى بومباي، كما عمل في المستعمرات البريطانيّة ووصل الى منطقة الخليج والجزيرة العربيّة فأعلن إسلامه وخطب الجمعة في الحرم المكّي وتزوّج من امرأةٍ نجديّة أنجبت ابنه الوحيد كيم، وكان صديقاً

لجواهر لال نهرو، وكانت أوّل تجربةٍ له في البلاد العربيّة عندما دخلت القوّات البريطانيّة الى البصرة عام ١٩١٤ حيث جاء فيلبي في العام التالي وأُنيطت به مهمّة جمع الضرائب، وعن اندلاع الثورة العربيّة في الحجاز عام ١٩١٦ أُرسل الى هناك، وبعدها عمل مستشاراً للملك السعوديّ وأصبح له دورٌ كبير في السياسة السعوديّة، له مؤلّفات عدّة منها كتاب: الربع الخالي، أيّام عربيّة، قلب الجزيرة العربيّة، حاج في الجزيرة العربيّة.. وغيرها. توفّي في عام ١٩٦٠ ودُفن في بيروت. للتعرّف أكثر عن حياته يُنظر: راشد شاز، الطريق الى الجزيرة العربيّة، الدار العربيّة للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٧. كذلك يُنظر: اليزابث مورنو، فيلبي العرب ترجمة قدري قلعجي، لندن، ١٩٧٣.

(٦٤)جون سنت فيلبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ مُحمّد بن عبد الوهّاب، تعريب عمر الديراوي، بيروت، د.ت، ص٥٥-٥٧.

(٦٥)وهو بريطاني الأصل، شغل منصب رئيس قسم البحوث لمعهد دراسات الكومنولث بجامعة أكسفورد، كانت كتاباته عبارة عن أطروحة دكتوراه تقدّم بها بعنوان: السياسة البريطانيّة في الخليج الفارسيّ عام ١٩٥٥، اعتمد في كتاباته على الوثائق البريطانيّة من منابعها الأصليّة، للتعرّف أكثر عن حياته يُنظر: جون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٧-١٨٧٠، ج١، ترجمة مُحمّد أمين عبدالله، وزارة التراث القوميّ والثقافة، عمان، د.ت.

(٦٦)نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٦٩.

(٦٧)نقلاً عن: المصدر نفسه، ص٧٠.

المصادر والمراجع

• **الوثائق:**

أ. العربيّة:

(١)سجلّات حكومة بومباي، رسالة من إدوارد ويلر الى لبلي بشأن مخاطر الحركة الوهّابيّة في ٤ سبتمبر ١٨٦٥. منشورة على مكتبة قطر الرقميّة على الموقع:

www.qdl.qa Accessed-in:15 / 12 / 2016

(ب)الأجنبيّة:

(2) Bombay Government Selection from the Records of Bombay Government ،No.xxiv «:،Historical Sketch of the Wahabia ،» Bombay1856.

• **الرسائل والأطاريح باللّغة العربيّة:**

(٣)أحلام بنت علي، الدولة السعوديّة الأولى من خلال كتابات الرحّالة والمستشرقين البريطانيّين.. عرض وتحليل ونقد ١١٥٧-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٤-١٨١٨م، أطروحة دكتوراه، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السعوديّة، ٢٠١٠.

(٤)أحمد حاشوش، سوق الشيوخ مركز إمارة المنتفك ١٧٦١-١٨٦٩، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة الآداب/ جامعة ذي قار، ٢٠١٠.

(٥)مرسال عبدالله مرسال، موقف المستشرقين من دعوة الإمام مُحمّد بن عبدالوهاب عرض ونقد، رسالة ماجستير مقدّمة الى جامعة أمّ القرى،

كليّة الدعوة وأصول الدين، السعوديّة.

(٦)ناصر بن إبراهيم التويم، الشيخ مُحمّد بن عبدالوهاب حياته ودعوته في الرؤية الاستشراقيّة.. دراسة نقديّة، جامعة الإمام سعود، المملكة العربيّة السعوديّة.

(٢)الرسائل باللّغة الإنكليزيّة:

(7)Joarage faseeleiv، Wahhabism Arabia، past and present، PH. D theisis, Oxford University, 1953, p.458.

- **الكتب العربيّة والمعرّبة:**

(٨)أبو طالب خان، رحلة أبي طالب خان الى العراق وأوربة، ترجمة مصطفى جواد، الورّاق، بيروت، ٢٠٠٧.

(٩)ا.ج.سوانسن كوبر، رحلة في البلاد العربيّة الخاضعة للأتراك من البحر المتوسّط الى بومبي عن طريق مصر والشام والعراق والخليج العربيّ حتّى ١٨٩٣، ترجمة صادق عبد الركابي، الأهليّة للنشر، عمان.

(١٠)ألكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، دار الورّاق للنشر، بيروت ٢٠٠٩،

(١١)اليزابث مورنو، فيلبي العرب ترجمة قدري قلعجي، لندن، ١٩٧٣.

(١٢)آن بلنت، رحلة الى بلاد نجد، ترجمة مُحمّد أنعم غالب، ط٢، الرياض، ١٩٧٨.

(١٣)جاكلين بيربين، اكتشاف جزيرة العرب.. خمسة قرون من المغامرة

والعلم، ترجمة قدري قلعجي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، د.ت.

(١٤)ج.ج.لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخيّ، ج١، ترجمة مكتب أمير دولة قطر، د.ت.

(١٥)جوار ماني، كارلو كلاوديو، نجد الشمالي (رحلة من القدس الى عنيزة في القصيم عام ١٨٦٤م/ ١٢٨٠هـ)، ترجمة أحمد ايبش، ط١، هيأة (أبو ظبي) للثقافة والتراث، أبو ظبي ٢٠٠٩.

(١٦)جورج اوغانيت فالين، صور من شمالي جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر، ترجمة سليم شلبي، هلنسكي، ١٩٩١.

(١٧)جون سنت فيلبي، تاريخ نجد ودعوة الشيخ مُحمّد بن عبد الوهّاب، تعريب عمر الديراوي، بيروت، د.ت.

(١٨)جون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٧-١٨٧٠، ج١، ترجمة مُحمّد أمين عبدالله، وزارة التراث القوميّ والثقافة، عمان.

(١٩)جوهان لودفيتج بوركهارت، موادّ التاريخ الوهّابيّ، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين د.ن، ١٩٨٥،

(٢٠)جوهان بوركهارت، ملاحظات عن البدو والوهّابيّين، ترجمة غاندي المهتا، مؤسّسة الانتشار العربيّ، بيروت، ٢٠٠٥،

(٢١)دوبريه، رحلة دوبريه الى العراق ١٨٠٧-١٨٠٩، ترجمة بطرس حدّاد، الورّاق للنشر، بيروت، ٢٠١٣،

(٢٢)راشد شاز، الطريق الى الجزيرة العربيّة، الدار العربيّة للموسوعات،

بيروت، ٢٠٠٧.

(٢٣)ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخيّاط، المكتبة الحيدريّة، ١٤٢٥هـ.

(٢٤)عبدالرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، القاهرة، دار العلم للملايين، د.ت.

(٢٥)عثمان بن مُحمّد بن أحمد بن سند البصري، مطالع السعود بأخبار الوالي داود، د.ت.

(٢٦)علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠ -١٨٣٠، بغداد، دار الحرية، ١٩٧٥.

(٢٧)هارفورد جونز بريدجز، موجز التاريخ الوهّابيّ، ترجمة عويضة بن متيريك الجهني، منشورات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠٠٥.

(٢٨)لويس بيلي، رحلة الى الرياض، ترجمة عبدالرحمن عبدالله، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩١.

(٢٩)لويس دوكورانسي، الوهّابيّون تاريخ ما أهمله التاريخ، ترجمة مجموعة من الباحثين، رياض الريس للنشر، بيروت.

(٣٠)لوي جاك روسو، رحلة الى الجزيرة العربيّة سنة ١٨٠٨، ترجمة بطرس حدّاد، الدار العربيّة للموسوعات، ٢٠١٠، بيروت.

(٣١)ماكس فرايهير فون اوبنهايم، البدو، ج٢، رحلة الى ديار شمّر وبلاد الشام، الورّاق للنشر، ٢٠٠٩.

(٣٢)ماكس فرايهير فون اوبنهايم، البدو ج٣، شمال ووسط الجزيرة العربيّة والعراق الجنوبيّ، الورّاق، لندن، ٢٠٠٧،

(٣٣)يوليوس او تيج، رحلة داخل الجزيرة العربيّة، ترجمة سعيد فايز السعيد، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٩٩٩.

- **البحوث**

(٣٤)أسعد عيد الفارس، الرحّالة الغربيّون في شبه الجزيرة العربيّة أهدافهم وغاياتهم، ج١، بحوث ندوة الرحلات الى شبه الجزيرة العربيّة المنعقدة في الرياض للمدّة ٢٤ -٢٧ رجب ١٤٢١ / ٢١-٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠.

(٣٥)عماد جاسم حسن، سوق الشيوخ في كتابات الرحّالة والمسؤولين الأجانب ١٧٦١-١٩٢٠، بحث مقبول للنشر في مجلّة الآثار في كليّة الآداب/ جامعة بغداد.

(٣٦)عماد جاسم حسن، أهداف الرحّالة الأجانب في رحلاتهم الى المناطق الشرقيّة، بحث مخطوط غير منشور.

(٣٧)مقدام عبد الحسن، الغزو الوهّابيّ لمدينة كربلاء المقدّسة في مطلع القرن التاسع عشر، مجلّة تراث كربلاء، العدد١، المجلّد٢، السنة٢، ٢٠١٥.

- **المواقع الإلكترونيّة:**

(38) 15/12/2016 Accessed-in.www.sauditourism.sa -